أصدقيني الحديـ ـث

ظننت أن كريم قد اعترف لوسيم بحقيقة وضعه حين قال بأن الإنسان يحزن لفقد أمه مرة وهو يحزن لفقدها مرتين فقلت له:

-ان أمك سعيدة أن تسمع هذه العبارة منك.. ألا ترى البسمة على شفتيها؟

قلت لكريم الذي كان واجما لايدري ماذا يفعل:

-سأذهب الى بيتي مع وسيم، لقد اتصل المستشفى بأهل داليا وزوجها ولا بد أنهـم قادمون..

-بل اذهبي الى بيتي وها هو المفتاح وسألحق بكما بعد حين..

-لا حاجة لي به، فقد أعطتني أسماء مفتاحها..

جلست ووسيم في الشرفة المطلّة على البحر، ريح غربية تجعـل الهـواء رطبـا منعشا.. سألني وسيم:

أين هي تانت أسماء؟

-انها في مصيف قريب من نبع مار أنطلياس ومعها نورا وفريدة.. صيفنا هذا العام هناك بعيدين عن جو بيروت الخانق وكنا نريد العودة آخر هذا الشهر اذ يحـين موعـد ولادة أسماء..

-أهي حامل؟

-نعم، سيكون لك أخ أو أخت خلال ثلاثة أسابيع القادمة..

-تانت نبيلة، أصدقيني الحديث، انني مشوش الذهن لا أدري ولا أفهم ما يجري..

-ماذا تريد أن تعرف؟

-هل أرسلت داليا في طلبي لتراني، لأنها صديقة أمي أم لأنها حقيقة أمي؟

-ان ما قاله لك كريم هو الحقيقة..

-قال لي أنه يخيل لها أنني ابن حقيقي لها وعلي أن أرعى مشاعرهالأنها راحلة ولا أحرمها سعادتها الأخيرة..

عرفت على التو الخطأ الذي وقعت فيه، ولكنني لم أرغب في أن يستمر وسيم فـي جهل واقعه.. قلت له:

-وسيم هل تكون بائسا لو عرفت أنها استدعتك لأنها حقا أمك، وتريد أن تودعـك الوداع الأخير؟

لا، انني أحببتها كما هي صديقة لأمي، وتحمل لي عاطفة خاصة لأنها محرومة من الأطفال، أما أن تكون أمي حقيقة فهذا يعني أنني لست الأخ التـوأم لجهـاد ولا الإبـن الحقيقي لماما ثريا وباباعبد الرحمن وهذا يتعسني؟ لماذا أنا محاط بالأسرار؟ لماذا تخلت عني أمي لترضعني وتربيني ماما ثريا؟ ومن يكون أبي ان لم يكن عبد الـرحمن؟ الكـلّ كان يكذب علي حتى أنت ياتاتت نبيلة.. أخبريني الحقيقة، هل وجدتموني مرميا في سـلّة على شاطئ البحر لا يعرف أحد من هو أبوه ومن هي أمه، فتبنـاه آل عبـاد وألحقـوه بنسبهم، وما هو منهم.. بل هو طفل لقيط كان أجدر به أن يعيش في ميتم..

أخذ يجهش ببكاء حاد، فتركته يبكي ويفرج عن نفسه.. ولما هدأت نوبـة انفعالـه وبكائه قلت له:

اذهب الى الحمام واغسل رأسك واسترح وان أمكنك النوم فنم.. وبعـدها سـأحدثك بقصة مولدك والظروف التي أحاطت بك، وثق أنني لن أخفي عنك شيئا، لقـد آن الأوان لأطلعك على الحقيقة.. وستعلم أنك ابن عباد، والطفل المدلّل المحبوب والأوفر حظا مـن أحفاد آل عباد جميعا..

استجاب لطلبي وعاد على الفور:

-لا يأتيني النوم، فقصي علي سيرة مولدي، لماذا تخلّى عني أبي وأمي؟

-كنت ثمرة حب متبادل بين أبويك بقي حيا حتى هذه اللحظة..

-من هو والدي؟

-من يكون غير كريم؟!

-عمي كريم هو والدي!

-نعم أنت مسجل في نفوس بيروت أنك ابن داليا ديب وكريم عباد منذ مولدك..

-لماذا تخلّى عني أبي؟

-انه لم يعلم بوجودك حتى العام الذي مضى حين عاد من أميركـا وقـد اختـص كطبيب جراح نسائي..

-لم يتركها هو بل هي التي تركته..ظروف لبنان كانت صعبة للغاية والإتـصالات صعبة وكان والدك قد سافر الى أميركا وانقطعت أخباره..جاءت أمك الى مكتب والـدي وكنت أتدرب في مكتبه كمحامية وأخبرته عن علاقتها بكريم وكانت حاملا في شـهرها الرابع .. ووثقت كلامها بمجموعة الصور التي أخذت لهما معا وبالرسائل التي بعث بها اليها من أميركا يؤكد فيها حبه.. كانت الظروف صعبة، فلم يستطع والدي أن يرسلها اليه فتعيقه عن دراسته، فتكفل بسكنها ومعيشتها حتى وضعت مولودهـا، وكنـت جميلامنـذ مولدك فسماك جدك وسيم، وسجلك في نفوس بيروت، ثم رتب لها السفر الى كريم فـي نيويورك.. ولكن والدك كانت قد انقطعت أخباره كليا وجرفته حياة الغرب..وكان والـدي غاضبا منه.. لا رسالة ولا تلفون ولا عنوان..ولم أدر كيف أمـضى عـشرة الأعـوام الماضية وأنه تزوج طبيبة أميركية وله منها صبيان، حتى عاد الى لبنان بعد أن انفـصل عن زوجته..

-تزوج أبي ثلاث مرات، ولي أخوان في أميركا وأخ مقبل الى الدنيا، فلماذا يفعـل ذلك؟

-لا أقول لك أن والدك يتصف بالكمال في علاقاته مع النساء.. أمك كانـت حبـه الأول العفوي الشغوف، وتزوج الثانية للإستقرار والجنسية، والثالثة لأنه وجـد عنـدها الحكمة والصبر على عيوبه، ولأنها تنتزع من شخصيته المتعددة الجوانب أفضل ما فيه، وأنا واثقة أنها في المستقبل القريب ستكون لك نعم الأم الحنون كما كانـت مامـا ثريـا بالنسبة لك.

-قلت بأن أمي هي التي تركت والدي..

-نعم، لأنها بعد أن هيأ والدي جواز السفر لها ولك لتلتحق بوالدك، اختفـت فجـأة تاركة اياك رضيعا وعمرك شهر واحد عند المرأة التي كانت نزيلة في بيتها، فرآك جائعا تبكي فحملك الينا.. وكانت ثريا في منزلنا تضع طفلها الثاني جهاد بعد أن مـات طفلهـا السابق، فاعتبرت أن الله قد وهبها إياك بديلا عن الطفل الـذي فقدتـه وأحبتـك حبهـا لجهاد..ولم يعلم أحد من أسرتنا الاّ أنكما توأم، حين التحقت بعبد الرحمن في صيدا حيث انتقل اليها بوظيفته الجديدة..

رأيت وسيم تعبا من السفر وانفعال النهار، مرهقا الى الدرجة التي يكبو في كرسيه المريح بغية النوم، وكان الهواءالمنعش البرود يجعل النهار أقرب للربيـع منـه لـصيف تموز، فأغفى وقد ارتسمت على وجهه ملامح استسلام للواقع..تركته ودخلت، فوجـدت كريم في المطبخ يفرغ البراد من بعض محتوياته للتسخين، وعلى الطاولة لفة فيها كباب مشوي ومخلل..

-أين وسيم؟

-غفا في الشرفة.. لقد أعفيتك من المهمة الشاقة في الإدلاء بأي تبريرلتخليك عنه.

-كان صعبا علي أن أدلي له بالحقيقة، فكيف كان ردّ فعله؟

-تقبل الأمر الواقع بصبر وانفتاح ذهن.. وسرعان ما يتأقلم مع جوه الجديد!

-بعد أن ذهبت جاء زوجها ، ثم أخواها وأمها..كانت أمها تولـول وتـشتم غـانم، وتتهمه بأنه هو الذي قتلها..

-لا أظن بأن الحادث كان من تدبيره.. جاءت الشرطة واستجوبتها وكانـت تـشك برجل هو قريبه، ابن أخيه الطبيب الذي قام بإجراء العملية التي حرمتها من الإنجاب..ان أسماء تعرفه حق المعرفة، حين كانت نعمل في المشفى الذي كان تابعا للفلسطينيين..انـه رجل فاسد لا أخلاق له، وهو طامع أن يرث خاله.. ربما تذكره يوم كنا في حفل انتخاب ملكة جمال الريف حين أغمي على داليا فقام هو بنقلها الى المشفى، وقـام بالعمليـة دون استشارة أهلها..ان أسماء تعرف بالقصة، ألم تخبرك عنها؟

-لا، أسماء تتحفظ، ولا تفشي أسرار مريضاتها..

-هناك أمر يقلقني بشأن الوصية التي أرادت مني كتابتها وشهد عليها رفاقك الأطباء الثلاثة ووثقها مدير المستشفى..

-صحيح، لم يتح لي أن ألتقي بهم..

-انها تتعلق بوسيم.. كتبت له كل ما تملك من ثروة وعقار والوصية لاتـزال فـي حقيبتي فخذها واقرأها..

-مالذي يقلقك بشأنها؟

انها تهدد حياة وسيم.. فان صح تقديري فان الحادث الذي أودى بحياة داليـا، كـان بسبب الوصية التي كتب لها غانم فيها نصف ثروته، والبيت الذي تسكن فيه حين هددتـه

بالإنفصال عنه.. ونسخة أودعتها عندي والنسخة الأخرى عند أمها.. ان اتهـام أم داليـا لغانم له مدلوله عندها.. انها تشعر بحدسها الفطري أن ثروة غانم هي التي قتلت ابنتها.. ولكن ليس لغانم مصلحة في قتلها فهو يحبها.. فهو رجل عقيم وكان في خشية دائمـة أن تنجب له ولدا دخيلا عليه فلما زال هذا الخطر بالنسبة اليه تـساهل وأعطاهـا حريتهـا، وكتب لها ما كتب حتى يطمئنها على مصيرها بعده.. فاذا قام أحد بجريمة ليزيح داليا من الإرث، فهو يقوم بجريمة أخرى ان علم بالوصية التي تؤول فيها ثروة داليا الـى ابنهـا وسيم..

-ماذا علينا أن نفعل؟

-السرية! عليك أن توصي رفاقك الثلاثة الذين شهدوا على الوصـية، أن يكتمـوا أمرهاعن أي انسان كان، لأن هذا يهدد وسيم بخطر أكيد ريثما تظهر التحقيقات الجاني.. المعركة الآن محصورة بين عائلة غانم وعائلة ديـب.. وسـيظهر فـي هـذا النـزاع أشياءخطيرة مكتومة.. فلن يكون هناك سلام بينهما بعد موت داليا..

* * *